أسلوب الاستفهام في سورة مريم – دراسة بلاغية –

م.م. ذاكر عبداللطيف عبوش *

تأريخ التقديم: ٢٠١٩/١/١٠ تأريخ القبول: ٢٠١٩/٣/١٩

المقدمة :

إن الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، نعوذ بالله من شرور انفسنا ومن سيئات اعمالنا من يهد الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له واشهد ان لا اله إلا الله وحده لا شريك له واشهد ان محمداً عبده ورسوله ﷺ.

اما بعد:

فقد انزل الله كتابه على نبيه وامر بتلاوته وتدبره لأنه احتوى على معان فريدة ومواعظ عديدة لا ينجلي فهمها إلا لقارئ متدبر، وقد وقف بلغاء العرب وشعراؤهم عاجزين امام فصاحة القرآن وبلاغته وعجزوا ان يأتوا بمثل سورة واحدة من سوره وبذلك انتصر القرآن على اعدائه فهو كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد فإن من فضل الله ان يهيئ لك النظر وان تبحر في آياته وفي بلاغة القرآن الكريم . فكان اختيارنا لموضوع الاستفهام.

حيث سأتناول في هذه الدراسة جوانب بلاغة القرآن الكريم وإظهار ما له من الأثر العظيم في النصوص القرآنية من خلال المصادر المتخصصة في البلاغة وكتب التفسير القديمة والحديثة التي تهتم بالبلاغة القرآنية ومن هذه المصادر المعتمدة كتب التفاسير، ومنها: لسان العرب، وتفسير الكشاف، والتحرير والتنوير، والتفسير الكبير للرازي، وتفسير حدائق الروح والريحان، والمعجزة الكبرى، والطراز وتفسير ابن كثير وغيرها، وقام هذا البحث على دراسة أسلوب الاستفهام في سورة مريم من خلال الوقوف على الآيات التي فيها استفهام في هذه السورة وقد ورد الاستفهام في سورة مريم في ثلاثة عشر اية وكانت الهمزة اكثرها وروداً اما الأغراض البلاغية فقد خرجت إلى معاني عدة، منها: الانكار سبع مرات، والتعجب ست مرات، والنفي ثلاث مرات، والتقرير مرتين،

* الجامعة التقنية الشمالية/ نينوى.

والتوبيخ مرة واحدة، والاستبعاد مرة واحدة، فهذه الدراسة تتعلق ببلاغة القرآن الكريم المليء بالأسرار والنكت التي لا ينفد عطائها ولا ينضب ماؤها فما كان من صواب فمن الله وحده وما كان من خطأ فهو صفة البشر، وكل ما سنقدم من شرح وتفسير لا يستوفي حق الكتاب العظيم، سنتناول هذه المواضع بشيء من التفصيل مع ذكر نوع الاسلوب الوارد في الموضع وكل ما جاء به من دلالات حيث تأتي هذه الدلالات حسب ما تقتضي الحالة المذكورة فكل دلالة تؤدي دورها على ابلغ ما تكون من المعنى المراد ايصاله الى المتلقي .

التمهيد

الحمد لله والصلاة والسلام على من لا نبي بعده وبعد: فقد تناول البحث دراسة بيانية لما ورد من مواضع استفهامية في هذه السورة وبيان اهمية الاستفهام وهذا من ميزات اللغة العربية حيث تتنوع اساليبها وصلاحيتها لمختلف العلوم، ولذلك فقد كرمها الله بأن جعلها لغة القرآن الكريم والوصول بعد ذلك إلى نظرة مجملة إلى تعريف .

وانتقلت إلى أنواع الاستفهام وهما نوعان: استفهام حقيقي وهو معنى من المعاني يطلب به المتكلم من السامع بأن يعلمه ما لم يكن معلوماً عنده من قبل والنوع الثاني مجازي وهو استفهام لا يرمي اثره المستفهم جواباً بل يود به إيصال معانٍ أخرى وانتقلت بعدها إلى اقسام الاستفهام وهي ثلاثة:

الأول منها ما يستفهم به عن التصور والتصديق وهو (همزة الاستفهام) واما الثاني ما يستفهم به عن التصديق فقط وهو لفظ (هل) والثالث ما يستفهم به عن التصور فقط وهي سائر أدوات الاستفهام، وهذه جميعها أسماء وهي (ما– من – أي – كم – كيف– اين – أنى– متى – ايان) وذكرت أدوات الاستفهام، الحرفية والاسمية، وقد اعتمدت في ذلك على ما ذكره المتقدمون وما هي الاستعمالات لهذه الأدوات وانتقلت إلى الأغراض البلاغية للاستفهام ومنها (التشويق، الانكار، الفخر، التقرير، الاستبطاء، التهويل والتعظيم، التوبيخ، النفي، التعجب، التحقير، الاستبعاد، التحسر، والتقريع) .

تناولنا الآيات التي ورد فيها الاستفهام في سورة مريم، وقد ورد الاستفهام في سورة مريم في ثلاث عشرة آية، وكانت الهمزة اكثرها وروداً اما الأغراض البلاغية فقد خرجت إلى معاني عدة، منها الانكار سبع مرات، والتعجب ست مرات، والنفي ثلاث

مرات، والتقرير مرتين، والتوبيخ مرة، والاستبعاد مرة واحدة، وقد استخرجتها حسب تسلسل الآيات في هذه السورة.

الاستفهام

الاستفهام لغةً: مصدر استفهمت أي طلب الفهم (وأفهمه الامر وفهمه إياه جعله يفهمه سأله ان يفهمه وقد استفهمني الشيء فأفهمته وفهمته تفهيماً) [١].فَهَمَ: الْفَاءُ وَالْهَاءُ وَالْمِيمُ عِلْمُ الشَّيْءِ، كَذَا يَقُولُونَ أَهْلُ اللُّغَةِ. وَفَهْمٌ: قَبِيلَةٌ [٢].

الاستفهام اصطلاحاً: هو طلب العلم بشيء لم يكن معلوماً من قبل بإحدى أدوات الاستفهام[٣].

أنواع الاستفهام

١. استفهام حقيقي: وهو معنى من المعاني يطلب به المتكلم من السامع بأن يعلمه ما لم يكن معلوماً عنده من قبل.
٢. استفهام مجازي: وهو استفهام لا يرمي اثره المستفهم جواباً بل يود به إيصال معان أخرى.

اقسام الاستفهام

١- ما يستفهم به عن التصور والتصديق وهو (همزة الاستفهام) فقط وهو حرف لا يكون له محل من الاعراب.
٢- ما يستفهم به عن التصديق فقط وهو لفظ (هل) وهو حرف لا محل له من الاعراب في الجملة والاصل في هل ان تدخل على جملة فعلية أي لابد من ان يسبقها فعل لفظاً أو تقديراً ولا تدخل على النفي والمضارع الذي للحال والشرط وحرف (ان) الذي ينصب الاسم ويرفع الخبر وحرف العطف بخلاف الهمزة في كل ذلك ولأجل اختصاصها بطلب التصديق لا يذكر معها المعادل بعد ام المتصلة.
٣- ما يستفهم به عن التصور فقط وعلى سائر أدوات الاستفهام وهذه جميعها أسماء

(١) لسان العرب محمد ن مكرم بن علي، ابو الفضل ، جمال الدين ابن منظور الانصاري الرويفعي الافريقي (ت٧١١هـ)، دار صادر، بيروت، ط٣، ١٤١٤هـ، (مادة فهم).
(٢) مقاييس اللغة ، ابن فارس ، باب الفاء .ج٤/ص٤٥٧.
(٣) لسان العرب، ابن منظور: (مادة فهم).

وهي (ما– من – أي – كم – كيف– اين– أنى– متى– ايان) [1].

اغراض الاستفهام

الغرض الأصلي للاستفهام كما سبق هو طلب معرفة امر لم يكن معلوماً عند الطلب، إلا ان الاستفهام يخرج عن غرضه الأصلي إلى أغراض أخرى نعرفها من خلال سياق الكلام ومنها:

١– التشويق: وذلك حين يراد تشويق المخاطب إلى امر ما: قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ تِجَٰرَةٖ تُنجِيكُم مِّنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ ﴾ الصف: ١٠.

٢– الانكار: حين يراد انكار المستفهم عنه: قال تعالى: ﴿ أَتَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبِرِّ وَتَنسَوۡنَ أَنفُسَكُمۡ ﴾ البقرة: ٤٤.

٣– الفخر: حين يكون المستفهم امراً عظيماً يفخر به المتكلم: كقول الشاعر:

أضاعوني وأيَّ فتى أضاعوا ليوم كريهةٍ وسدادِ ثَغْرِ

٤– التقرير: حين يطلب من المخاطب الإقرار بما بعد أداة الاستفهام، أو يريد المتكلم اثباته: ﴿ أَلَيۡسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ ﴾ الزمر: ٣٦.

٥– التمني : حين يكون ما بعد الأداة (هل) بعيد المنال مستحيلاً: قال تعالى: ﴿ يَوۡمَ يَأۡتِي تَأۡوِيلُهُۥ يَقُولُ ٱلَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبۡلُ قَدۡ جَآءَتۡ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلۡحَقِّ فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَآءَ فَيَشۡفَعُواْ لَنَآ ﴾ الأعراف: ٥٣.

٦– الاستبطاء: حين يراد التعبير عن الشعور باستبطاء حصول المستفهم عنه ﴿ مَّسَّتۡهُمُ ٱلۡبَأۡسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلۡزِلُواْ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصۡرُ ٱللَّهِۗ أَلَآ إِنَّ نَصۡرَ ٱللَّهِ قَرِيبٞ ﴾ البقرة: ٢١٤.

٧– التهويل والتعظيم: حين يراد الدلالة على هول المستفهم عنه ﴿ ٱلۡحَآقَّةُ ۝١ مَا ٱلۡحَآقَّةُ ﴾ الحاقة: ١ – ٢.

٨– التوبيخ حين يكون المستفهم عنه مستقبحاً : قول الشاعر:

---

(١) اسرار العربية ، ابي البركات كمال الدين الانباري ، ص ٢٦٧.

إلامَ الخلـــــــف بيـــــــنكمُ الامـــــــا وهـــــذي الضـــــجةُ الكبـــــرى علامـــــا

وفيـــــه يكيـــــدُ بعضُـــــكم لـــــبعضٍ وتُبـــــدون العـــــداوةَ والخصـــــاما

٩- النفي: حين يراد نفي ما بعد الأداة (المستفهم عنه) وتكون الأداة بمعنى النفي قال تعالى: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ البقرة: ٢٥٥.

١٠- التعجب: حين يكون المستفهم عنه مثيراً للتعجب والدهشة عند المتكلم: قال تعالى: ﴿فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا۟ كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِى ٱلْمَهْدِ صَبِيًّا ﴿٢٩﴾﴾ مريم: ٢٩.

١١- التحقير: حين يكون المستفهم عنه وضيعاً قول الشاعر: فدع الوعيد فما وعيدك ضائري أطنين اجنحة الذباب يضير.

١٢- الاستبعاد: حين يستبعد المتكلم ما بعد الاداة:

قال تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤٨﴾﴾ يس: ٤٨.

١٣- التحسر والتوجع: حين يريد المتكلم التحسر على المستفهم عنه:

قال شوقي: **رباعَ الخلدِ ويحك ما دهاها أحقٌّ انها دُرست أحـــقُّ**

قال المتنبي: **مَـــــنْ للمحافـــل والجحافل والسُّرى؟ فقدت بفقدك نيراً لا يطلع**

١٤- التقريع: قال تعالى: ﴿قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا﴾ الشعراء: ١٨[1].

أغراض الاستفهام في سورة مريم

ورد الاستفهام في سورة مريم في ثلاث عشرة آية، وكانت الهمزة اكثرها وروداً اما الأغراض البلاغية خرجت إلى معاني عدة، منها: الانكار سبع مرات، والتعجب ست مرات، والنفي ثلاث مرات، والتقرير مرتين، والتوبيخ مرة واحدة، والاستبعاد مرة واحدة، وقد استخرجتها حسب تسلسل الآيات في هذه السورة.

الآية الاولى

(١) ينظر: البلاغة فنونها وافنانها، فضل حسن عباس، دار النفائس ،الطبعة الثانية عشر ٢٠٠٩م : ٢٠٠.

قال تعالى: ﴿ قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٌ وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ ٱلْكِبَرِ عِتِيًّا ﴿٨﴾ ﴾ مريم: ٨.

فـ(أنَّى): أداة استفهام بمعنى (كيف) فتكون إستفهاماً عن الحال أو بمعنى : من أين، والاستفهام بها للاستبعاد من حيث انعدام أسباب الإنجاب(١).

وفي حذف (يا) النداء حيث قال (رب) وكان الأصل أن يقول: يا رب ، إيجاز بالحذف، وقد روعي في هذا النداء التخفيف اللفظي، نحذف منه (يا) النداء في أوله و(يا) المضاف إليه بآخره، وكان الأصل أن يقال : يا ربي.

يخاطب نبي الله زكريا عليه السلام الخالق متعجباً عن الكيفية التي سيأتي بها الولد بعد هذا العمر وبعد وهن العظم وشيب الراس وان زوجته اصبحت في عمر لايمكن لها ان تلد فسال ربه عن كيفية ذلك هل سيكون الولد الذي سيمنحه اياه من زوجته العقيم، ام من زوجة اخرى، فجاءه الجواب ﴿ قَالَ كَذَٰلِكَ ٱللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ﴿٤٠﴾ ﴾ آل عمران: ٤٠ ، فعلم ان الولد الذي سيمنحه اياه سيكون من زوجته العقيم وذلك يمثل قرينة واضحة على ان الاستفهام الذي صدر عنه بعد استجابة دعائه لم يكن استبعاداً وانما كان للتعبير عن الاستعظام لقدرة الله تعالى عن هذا التعجب بالاستفهام بأنى، وأنى في اللغة لثلاثة معانٍ:

١. أنى : بمعنى كيف ﴿ أَنَّىٰ لَهُمُ ٱلذِّكْرَىٰ ﴾ الدخان: ١٣ أي كيف لهم يتذكرون.
٢. بمعنى من اين ﴿ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٌ ﴾ آل عمران: ٤٠ أي من اين يكون لي غلام .
٣. أنى: بمعنى متى ﴿ أَنَّىٰ يُحْيِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ﴾ البقرة: ٢٥٩ أي متى يحيى هذه الله بعد موتها وهي السؤال عن الزمان واستبعاد حصول الأحياء لها والكيفية(٢).

وجاءت بمعنى من أين في هذه الآية ﴿ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٌ ﴾ آل عمران: ٤٠ أي كيف يكون لي غلام او كيف يحدث لي غلام وليس معنى هذا الاستفهام الانكار بل

(١) التفسير البلاغي لإستفهام في القرآن الحكيم، د. عبدالعظيم ابراهيم المظعني، ج٢ ، مكتبة وهبة، القاهرة: ٢٦٩/٢ .

(٢) مفتاح العلوم، أبي يعقوب يوسف بن محمد بن علي السكاكي(ت٦٢٦هـ)، تحقيق: د.عبدالحميد هنداوي، مدرس البلاغة والنقد الأدبي والأدب المقارن، كلية دار العلوم، جامعة القاهرة، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ١٩٧١: ٤٢٣-٤٢٤

التعجب من قدرة الله تعالى وبديع صنعه حيث يخرج ولد من امرأة عاقر وشيخ كبير والحال أنى قد كانت امراتي عاقراً أي لم تلد في شبابها وشبابي فكيف وهي عجوز الان وقد بلغت انا من الكبر من اجل كبر السن (عتياً) [١].والاستفهام من زكريا عليه السلام ليس بمعنى الشك أو الانكار فجاءت (أنى استفهام مستعمل في التعجب والتعجب مكنى به عن الشكر فهو اعتراف بأنها عطية عزيزة غير مألوفة لأنه لا يجوز ان يسأل الله ان يهب له ولداً ثم يتعجب من استجابة الله له ويجوز ان يكون قد ظن الله يهب له ولداً من امرأة أخرى بأن يأذنه بتزوج امرأة غير عاقر) [٢] فإن سأل سائل (لم طلب أو لا وخو وامراته على صفة العِتى والعقر فلما اسعف بطلبته استبعدوا واستعجب قلت ليجاب بما اجيب فيزداد المؤمنون ايقاعاً ويرتدع المبطلون والا فمعتقد زكريا أولا واخراً كان على منهاج واحد في ان الله غني عن الأسباب أي بلغت عتياً وهو اليبس والجساوة في المفاصل والعظام كالعود القاحل) [٣].

الآية الثانية

قال تعالى:﴿ قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ﴿٢٠﴾ ﴾ مريم: ٢٠

لم يكن الاستبعاد هنا مطلقاً، وإنما لعدم توافر أسباب الانجاب وعدم إقترانها بزوج، ولأنها طاهرة عفيفة لا تبذل رحمها لغير زوجها[٤].

فهذا استفهام فيه شيء من الحيرة لسيدتنا مريم عليها السلام، فقصتها اعجب من

---

(١) حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن الشيخ العلامة محمد الامين بن عبدالله الارمي العلوي الهرري الشافعي ، تحقيق: الدكتور هاشم محمد علي بن حسين مهدي، دار طوق النجاة، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٢١هـ: ٩٣/١٧.

(٢) تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد (التحرير والتنوير)، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت١٣٩٣هـ)، الدار التونسية للنشر، تونس، ط١، ١٩٨٤: ٧٠/١٦.

(٣) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الاقاويل في وجوه التأويل (تفسير الزمخشري)، ابو القاسم محمود بن عمرو بن احمد الزمخشري جار الله (ت٥٣٨هـ)، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٣، ١٤٠٧هـ: ٦/٣.

(٤) ينظر: التفسير البلاغي للاستفهام في القرآن الكريم : ٢٧١/٢ .

قصة الشيخ والعجوز اللذين سيرزقان الولد بعد ان بلغ الكبر منهما عتياً فسؤال زكريا عليه السلام كان في سياق الفرح والاندهاش والتعجب لان الولد كان استجابة لدعائه وطلبه بينما سؤال مريم ينم عن قلق العفيفة وانفعال الحرة الطاهرة الخائفة على عرضها وسمعتها. وكانت تريد ان تطمئن عن الطريقة التي سترزق فيها الولد وهي لم تتزوج وليست بزانية.

وكان استفهامها بأنى (أي كيف الد غلاماً والحال اني لم يمسسني بشر تعني لم يجامعني زوج بنكاح ولم أك بغياً أي لم أك زانية واذا انتفى عنها مسيس الرجال حلالا وحراماً فكيف كانت تحمل والظاهر ان استفهامها استخبار واستعلام عن الكيفية التي يكون فيها حمل الغلام المذكور لأنها مع عدم مسيس الرجل لم تتضح لها الكيفية ويحتمل ان يكون استفهامها تعجب من كمال قدرة الله تعالى) [1]. ولم يهدأ روعها حتى جاءتها الإجابة عن سؤالها واستفهامها ﴿ قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ ﴾ مريم:٩ ، أي فقال لها الملك مجيباً لها عما سألت، ان الله قد قال انه سيوجد منك غلاماً وان لم يكن لها زوج ولا فاحشة فأنه على ما يشاء قدير ولهذا قال:﴿ وَلِنَجْعَلَهُۥٓ ءَايَةً لِّلنَّاسِ ﴾ مريم: ٢١ ، أي دلالة على قدرة الله: ﴿ وَرَحْمَةً مِّنَّا ۚ ﴾ مريم: ٢١ ، أي ونجعل هذا الغلام رحمة من الله ، نبياً من الأنبياء يدعو إلى عبادة الله تعالى وتوحيده، كما قال تعالى في الآية الأخرى ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴾ آل عمران: ٤٥، أي يدعو الى عبادة ربه في مهده وكهولته[2].

(١) أضواء البيان في ايضاح القرآن بالقرآن، محد الامين محمد المختار بن عبدالقادر الجنكي الشنقيطي (ت١٣٩٣هـ) ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت–لبنان، ١٤١٥هـ: ٣٨٧/٣.

(٢) تفسير القرآن العظيم (ابن كثير، ابو الفداء اسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم المشقي (ت٧٧٤هـ)، تحقيق: محمد حسين شمس الدين ، دار الكتب العلمية ، منشورات محمد علي بيضون، بيروت، ط١، ١٤١٩هـ: ٢٢٠/٥.

الآية الثالثة

قال تعالى:﴿ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا ﴿٢٩﴾ ﴾ مريم: ٢٩

فهو استفهام التعجب والمقام ناطق بهذا، فلا ضرورة لنقل أقوالهم فيه توخياً للايجاز فمدلول التعجب هنا يردف إلى معنى آخر هو ارغام مريم (رضي الله عنها) متعجبين[١].

بعد ان وضعت وعادت الى قومها بدأ قومها يوبخونها ويكلون لها التهم بألسنتهم بالتقريع والتأنيب واستقباح ما عملت حسب تصورهم لكنها التزمت ما امرت به من ترك الكلام ﴿ فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنسِيًّا ﴿٢٦﴾ ﴾ مريم: ٢٦ فهي كانت واثقة انه سيتكلم مطمئنة لانها تحمل هذا الطفل الذي سيكون دليل براءة لا دليل جريمة ﴿ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ ﴾ مريم: ٢٩، فماذا تقول في العجب الذي ساورهم وهم يرون عذراء تواجههم بطفل وهو يستنكرون فعلتها فتصمت وأشارت إلى هذا الطفل ليسألوه عن سرها فقالوا: ﴿ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا ﴿٢٩﴾ ﴾ مريم: ٢٩، متعجبين ان هذا الطفل سيكلمهم. فكان استفهامهم استفهام (انكار انكروا ان يكلموا من ليس من شأنه ان يتكلم، وانكروا ان تحيلهم على مكالمته أي كيف نترقب منه الجواب او كيف نلقي عليه السؤال لان الحالتين تقتضيان التكلم وزيادة فعل الكون في من كان في المهد للدلالة على تمكن المظروفية في المهد من هذا الذي احيلوا على مكالمته، وذلك مبالغة منهم في الانكار وتعجب من استخفافها بهم) [٢].

وزاد حيرتهم ودهشتهم انها تحيلهم إلى طفل يكلمهم وهو امر مستحيل في الظروف الطبيعية فكيف لمولود ان يتكلم ولم يكن من العمر سوى والله اعلم ساعات قليلة، فما كان منهم الا ان (اعتبروا هذا استهزاء بهم وجناية زيادة على جنايتها الأولى ولكن الوليد الصغير لم يكن كأمثاله نشأ من اب وام بل خلقه الله اية عجيبة وخلقة غريبة يؤمن بسببه أناس ويكفر اخرون)[٣].

---

(١) ينظر: التفسير البلاغي للاستفهام في القرآن الكريم : ٢٧٢/٢ .

(٢) تفسير التحرير والتنوير: ٩٧/١٦

(٣) التفسير الواضح ، محمد محمود جازي، دار الجيل الجديد، بيروت، ط١٠، ١٤١٣هـ: ٤٥١/٢.

الآية الرابعة

قال تعالى:﴿ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنكَ شَيْئًا ﴿٤٢﴾ ﴾ مريم: ٤٢

فأداة الاستفهام فيه هي (من) دخل عليها حرف الجر (ل) تحذف ألفها تخفيفاً[١].

خطاب بين نبي الله ابراهيم عليه السلام وابيه محاوراً اياه بكل بساطة واحترام ابن لابيه ولم يخرج عن حدود الحوار بلطف ويخاطبه بأحب الالفاظ اليه فيقول (يا أبت) يحاول اقناع وتنبيه والده على فساد عبادته للاوثان، والاصنام وانه يجب ان يتوجه بالعبادة إلى خالق كل شيء بدل من عبادة ما لا يسمع ولا يغني ولا يضر ولا ينفع، وأورد إبراهيم عليه السلام الدلائل والنصائح وناداه برفق ولين استمالة لقلبه وامتثالاً لامر ربه ولكن هذا حال اهل الجهل، فقد كان (طبع اهل الجهالة تحقيرهم للصغير كيفما بلغ حاله في الحذق وبخاصة الإباء مع أبنائهم، فتوجه إلى ابيه بخطابه بوصف الابوة ايماء إلى انه مخلص له النصيحة، وألقى اليه حجة فساد عبادة في صورة الاستفهام عن سبب عبادته وعمله المخطئ) [٢].

واخر حقيقة ما يعبد ولم يقل الشيطان إلى (نهاية المناقشة، وبدل ان يقول الشيطان حلل شخصيته، وابان عناصره، وكشف عن حقيقته لا يسمع ولا يبصر، ولا يغني عنك شيئاً فهذه الصفات لا تكون في المعبد، وهي العلة في ان نتجنب عبادة ما دون الله من شجر أو حجر أو شيطان، خصوصاً في بيئة إبراهيم عليه السلام كانت مليئة بالاوثان والاصنام) [٣].

فكان استفهامه عليه السلام استفهام انكار وتعجب ينكر عبادته للاصنام ويتعجب من طاعته للشيطان ، فكيف لبشر ان يعبد من دون الله مالا ينفع ولا يضر بل ويتعجب اكثر ان هذه الالهة هي من صناعة البشر فكيف يعبد ما صنعة يداه .

---

(١) ينظر: التفسير البلاغي للاستفهام في القرآن الكريم : ٢٧٣/٢ .

(٢) تفسير التحرير والتنوير: ١١٣/١٦.

(٣) تفسير الخواطر (الشعراوي)، محمد متولي الشعراوي (ت١٤١٨هـ)، مطابع اخبار اليوم، ١٤١٧هـ: ٩٠٩٧/١٥.

الآية الخامسة

قال تعالى:﴿ قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ ءَالِهَتِي يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَٱهْجُرْنِي مَلِيًّا ﴾ مريم: ٤٦

في الاستفهام هنا ضرب من التعجب والانكار لرغبته عن الهته، وأن الهته لا ينبغي أن يرغب عنها أحد، أي أتعرض وتنصرف انت عنها، بتوجيه الانكار إلى نفس الرغبة مع شيء من التعجب [١].

يخاطب آزر ولده نبي الله ابراهيم عليه السلام حيث تصور لنا هذه الآية صراع الحق والباطل والكفر والايمان فبعد ان بدأت القصة بمحاولة ابراهيم الاقناع العقلي لوالده بترغيب ورفق ولين وتقرب لتنتهي بالترهيب، والجفاء، والتهديد، والوعيد، فقابل لين ابراهيم بغلظة ورفقة بشدة وترغيبه بترهيب وتقربه بجفاء وتعجبه بانكار فكان (الاستفهام للانكار انكاراً لتجافي ابراهيم عن عبادة اصنامهم واضافة الالهة الى ضمير نفسه اضافة ولاية وانتساب الى المضاف لقصد تشريف المضاف اليه، وقد جاء في جوابه دعوة ابنه بمنتهى الجفاء والعنجهية بعكس ما في كلام ابراهيم من اللين والرقة فدل ذلك على انه كان قاسي القلب بعيد الفهم شديد التصلب في الكفر)[٢]. وهي صورة تعكس مدى تشرب الكفر في نفس ازر والد سيدنا ابراهيم عليه السلام فهو الصراع الازلي بين الحق بكل صور الرحمة التي جاء بها اسلوب نبي الله مع الكفر بكل الهمجية والرعونة وغيرها من صفات .

هذا حال اهل الضلالة فبعد ان اقبل عليه إبراهيم عليه السلام بتودد وبر وناداه بـ(يا أبت) ((اقبل عليه الشيخ بفظاظة الكفر وغلظة العناد، فناداه باسمه، ولم يقابل يا ابت بيا بني، وقدم الخبر على المبتدأ في قوله أراغب انت عن الهتي يا إبراهيم لأنه كان اهم عنده وهو عنده اعنى، وفيه ضرب من التعجب والانكار لرغبته عن الهته ، وأن الهته، ما ينبغي ان يرغب عنها احد))[٣]. وهذه الحالة في كل الازمنة متأتية من الكبر والعناد وعزة النفس التي كانت تقودهم الى الاشراك بالله بل ومحاربة كل من يدعو الى دين الله

(١) ينظر: التفسير البلاغي للاستفهام في القرآن الكريم : ٢/٢٧٥ .
(٢) تفسير التحرير والتنوير: ١٦/١١٨.
(٣) تفسير الكشاف: ٣/٢٠.

وعبادته وهذا ما نجده في كل قصص القرآن الكريم وما عرض لنا من ذكر الامم السابقة فلم تكن تختلف عن موقف ازر من سيدنا ابراهيم عليه السلام .ولم يكتف اباه بهذا بل رفض النصيحة ((وقابل ذلك التعجب الظاهر المبني على الدليل بتعجب فاسد غير مبني على دليل ، ولا شك ان هذا التعجب جدير بأن يتعجب منه)) [١].

﴿ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ ﴾ خطاب تهديد شديد ووعيد وقد اكد بحرف التوكيد (اللام) القسمي زيادة في ترهيب المخاطب وتحذيره.

الآية السادسة

قال تعالى﴿ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا فَٱعۡبُدۡهُ وَٱصۡطَبِرۡ لِعِبَٰدَتِهِۦۚ هَلۡ تَعۡلَمُ لَهُۥ سَمِيّٗا ﴿٦٥﴾ ﴾ مريم: ٦٥

"وهذا أسلوب استفهام الأداة فيه هل. فما المراد من هذا الاستفهام الصادر عن الله علام الغيوب". تقدم عن بعض الأئمة أن نفي العلم المراد منه نفي المعلوم على أبلغ طريق وأكده فهي عبارة فيها كناية أبلغ من التصريح[٢].

تبين الآيات ان الله سبحانه وتعالى رب السماوات والارض وما بينهما وخالق كل شيء يأمر الله عز وجل الرسول ﷺ ومن تبعه بالثبات والاستمرار على عبادة الله وحده والصبر على تكاليف تلك العبادة لان فيها الشدائد فمن اطاعه فله الثواب ومن عصاه فله العقاب.

(هَلۡ تَعۡلَمُ لَهُۥ سَمِيّٗا) حيث استحال ان تجد من يماثله فانه تبارك اسمه وجل ثناؤه وتعالى جده (سمي باسم الله او اسم الرحمن، هل تعلم له من يشاركه في مسماه ويشبهه في شيء. تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً ، ولما انتفى المشارك لله استحق ان يكون هو المعبود بحق دون سواه، وانه لا اله إلا الله وحده لا شريك له، والاستفهام في الآية

(١) التفسير الكبير (مفاتيح الغيب)، ابو عبدالله بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي (ت٦٠٦هـ)، دار احياء التراث العربي، بيروت، ط٣، ١٤٢٠هـ: ٥٤٦/٢١. ينظر: تفسير المراغي، احمد بن مصطفى المراغي (ت١٣٧١هـ)، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي واولاده، مصر، ط١، ١٣٦٥هـ: ٢٧٣/٥ .

(٢) ينظر: التفسير البلاغي للاستفهام في القرآن الكريم : ٢٧٧/٢ .

للإنكار ، والمراد بنفي العلم هنا نفى الشريك على ابلغ وجه) [١].

وقد جاء الاستفهام بهل للإنكار والنفي (والاستفهام انكاري، أي لا مسامي لله تعالى، أي ليس من يساميه أي يضاهيه، موجوداً وقيل السمي: المماثل في الاسم: كقوله في ذكر يحيى ﴿لَمْ نَجْعَل لَّهُۥ مِن قَبْلُ سَمِيًّا ﴿٧﴾﴾ مريم: ٧ ، والمعنى : لا تعلم له مماثلاً في اسمه الله، فإن المشركين لم يسموا شيئاً من اصنامهم باللاه وانما يقولون للواحد منها اله) [٢]. فخرجت كل هذه الصفات الى ذكر وتمجيد الواحد الاحد الذي لم يكن له مماثل او شبيه حتى في صفة من هذه الصفات فتعالى الله رب السماوات والارض عمّا يشركون .

الآية السابعة

قال تعالى:﴿ وَيَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ أَءِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا ﴿٦٦﴾﴾ مريم: ٦٦

هو استفهام مجازي وقد اجمع الأئمة على ذلك وهذا ما تصوره الحال أحقاً انا سنخرج أحياء فهي تدل على الاستحالة بعد ان تمكن منهم الموت والهلاك[٣].

يقول الانسان الكافر بلقاء الله تعالى المنكر للبعث والدار الاخرة معترضا في مختلف العصور على البعث بعد الموت يقول: (يقول الكافر الذي لا يصدق بالبعث بعد الموت على وجه الانكار والاستبعاد أإذا مت وأصبحت ترابا ورفاتا فسوف اخرج من القبر حياً قال ابن كثير: يتعجب ويستبعد اعادته بعد موته لسوف للمبالغة في الانكار وهو انكار منشؤه غفلة الانسان عن نشأته الأولى اين كان وكيف كان ولو تذكر لعلم ان الامر ايسر مما يتصور) [٤].

وانكار ذلك يدل على غفلته عن نشأته الأولى فكما ان الله قادر على انشائك النشأة الأولى قادر على احيائك بعد مماتك وقادر على بعثك و(المراد بالإنسان هاهنا كل منكر للبعث مستبعد لوقوعه فيقول مستفهماً على وجه النفي والعناد والكفر ﴿أَءِذَا مَا مِتُّ

(١) التفسير الواضح: ٤٦٤/٢.

(٢) تفسير التحرير والتنوير: ١٣٤/١٦.

(٣) ينظر: التفسير البلاغي للاستفهام في القرآن الكريم : ٢٨٠/٢ .

(٤) صفوة التفاسير محمد علي محمد الصابوني، دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط١، ١٤١٧هـ: ٢٠٥/٢. وينظر: تفسير القرآن العظيم : ٢٢٢/٥ .

لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا ﴾ مريم: ٦٦، أي كيف يعيدني الله حياً بعد الموت وبعد ما كنت رميماً هذا لا يكون ولا يتصور، وهذا بحسب عقله الفاسد ومقصده السيء، عناده لرسل الله وكتبه ، فلو نظر ادنى نظر وتأمل ادنى تأمل لرأى استبعاده للبعث، في غاية السخافة) [١]، فان الذي خلقة اول مرة وجاء به الى الوجود قادر على اعادته والعودة اسهل من الخلق الاول ولو نظر قليلاً في الكون وما يحيط به من طبيعة واشجار وحيوانات لادرك ان خالقها ومصورها قادر على اعادته وان مسالة البعث حتمية لا شك فيها وان الموعد هو يوم القيامة يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من اتى الله بقلب سليم.

فقد جاء (الاستفهام في أإذا ما مت لسوف اخرج حياً انكاراً لتحقيق وقوع البعث، فلذلك اتى بالجملة المسلط عليها الانكار مقترنة بلام الابتداء الدالة على توكيد الجملة الواقعة هي فيها، أي يقول لا يكون ما حققتموه من احيائي في المستقبل) [٢].

الآية الثامنة

قال تعالى: ﴿ أَوَلَا يَذْكُرُ الْإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئًا ﴿٦٧﴾ ﴾ مريم: ٦٧

"أيقول ذلك ولا يذكر حال النشأة الأولى حتى لا يذكر الاخرى، فإن تلك اعجب وأقرب وأدل على قدرة الخالق"[٣].

هنا الخطاب موجه الى المشركين وفيه تذكير لهم بان الله خلق الانسان من لا شيء في صورة من صور التقريع واللوم والتذكير بأصل خلقه فقد بدأت هذه الآية الكريمة باستفهام توبيخي وتذكير الانسان بحاله ومآله فالبعث عند الله سبحانه وتعالى اهون من الخلق افلا ((يتذكر هذا المكذب الجاحد اول خلقه فيستدل بالبداءة على الإعادة؟ ويعلم ان الله الذي خلقه من العدم قادر على ان يعيده بعد الفنا وتشتت الأجزاء؟ قال بعض العلماء: لو اجتمع كل الخلائق على ايراد حجة في البعث على هذا الاختصار لما قدروا عليها، إذ

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان عبدالرحمن بن ناصر بن عبدالله السعدي (ت١٣٧٦هـ)، تحقيق: عبدالرحمن بن معلا اللويحق ، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠هـ: ٤٩٨/١.

(٢) تفسير التحرير والتنوير: ١٤٥/١٦.

(٣) ينظر: التفسير البلاغي للاستفهام في القرآن الكريم : ٢٨٠/٢ .

لا شك ان الإعادة ثانياً اهون من الايجاد أولا)) [١].

فالذي لم يعجزه الابداء فهو الذي وجب ان لا تعجزه الإعادة وذلك لان الاعادة تكون اسهل من البدء ((فلأن يعاد الانسان من شيء اهون من ان يعاد من لا شيء ؛ لذلك قال تعالى في توضيح هذه المسألة ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ﴾ الروم: ٢٧ مع ان الخالق سبحانه وتعالى لا يقال في حقه تعالى هين واهون، او صعب وأصعب، ولكنه يحدثنا بما نفهم وبما نعلم في اعرافنا)) [٢]، فجاء الخطاب هنا بما نفهم وتدركه عقول البشر وحتى في الامثال التي ضربها القرآن كانت تخاطب مستوى ادراك البشر وهو امر طبيعي كي يعلم الانسان عليك ان تخاطبة بما يعلم .

وقد ((افاد الاستفهام هنا الانكار والتعجب من انكاره ليوم البعث فكأن الله يجيبه ايقول ذلك ولا يتذكر حال النشأة الأولى حتى لا ينكر النشأة الأخرى فإن تلك ادق على قدرة الخالق حيث اخرج الجواهر والاعراض من العدم إلى الوجود، واما الثانية فليس فيها إلا تأليف الموجود))[٣].

الآية التاسعة

قال تعالى:﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَّقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا ﴾ مريم: ٧٣.

الغرض من هذه الآية التي ذكرت فيها اداة الاستفهام (أي الفريقين خير)

أي : اسم استفهام خرج الى معنى التقرير

تبين هذه الاية ما يدور من حوار بين المسلمين والكفار، وبينت كذلك حالهم وما سيكون اليه مآلهم وعاقبتهم الوخيمة لا يجد الكافرون من مخرج إلا الافتخار، وتصور هذه الآية موقف من مواقف الكافرين مع المؤمنين في الدنيا حينما تقرأ عليهم آيات الله فيسخر ويستهزئ الكافرون معتزين بسلطانهم واموالهم الذي لا يغني عنهم من الله شيئاً بينما

(١) صفوة التفاسير: ٢/٢٠٥.

(٢) تفسير الخواطر: ١٥/٩١٥٠.

(٣) مدارك التنزيل وحقائق التأويل، ابو البركات عبدالله بن احمد بن محمود بن حافظ الدين النسفي (ت٧١٠هـ)، تحقيق: يوسف علي بديوي ، دار الكلم الطيب، بيروت، ط١، ١٤١٩هـ: ٢/٣٤٥.

يتواضع المؤمنون معتزين بإيمانهم وتوحيدهم لله.

وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ﴾ ((بينات مرتلات الالفاظ ، ملخصات المعاني، مبينات المقاصد: اما محكمات او متشابهات ، قد تبعها البيان بالمحكمات. او بتبيين الرسول قولاً او فعلاً او ظاهرات الاعجاز تحدى بها فلم يقدر على معارضتها او حججا وبراهين))[١].

جاء الاستفهام تقريرياً ليصور حال الجاحدين المنكرين ((الذين يتوهمون ان الفقراء في الدنيا لا يمكن ان يكونوا هم اول المهتدين، متوهمين ان الفضل بسعة الرزق وكثرة المال لا بالتقوى والمسارعة إلى الخير)) [٢].

فكان سؤالهم بأي (أي الفريقين خير) للتفاخر بالمال والجاه والسلطة وانهم مفضلون على الفقراء والمسلمين حسب تصورهم فجاء ((سؤال عن تصور حقيقة البعضية))[٣] والمعنى انحن خير ام أصحاب محمد ﷺ فدل استفهامهم على التقرير فانهم يريدون من المؤمنين ان يقروا انهم افضل ((حالا واحسنيتهم منالا مما لا يقبل الانكار وان ذلك لكرامتهم على الله سبحانه وزلفاهم عنده إذ هو المعيار على الفضل والنقصان والرفعة والضعة وان من ضرورته هو ان المؤمنين عليه تعالى لقصور حظهم العاجل وما هذا القياس العقيم والرأي السقيم إلا لكونهم جهلة لا يعلمون إلا ظاهراً من الحياة الدنيا وذلك مبلغهم من العلم)) [٤].

الآية العاشرة

قال تعالى:﴿أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى كَفَرَ بِـَٔايَٰتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٧٧﴾﴾ مريم: ٧٧

الغرض من هذه الآية التي ذكرت فيها اداة الاستفهام الهمزة (أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى كَفَرَ بِـَٔايَٰتِنَا)

---

(١) تفسير الكشاف: ٣٦/٣.

(٢) المعجزة الكبرى القرآن محمد بن احمد بن مصطفى بن احمد المعروف بأبي زهرة (ت١٣٩٤هـ)، دار الفكر العربي، ١٣٩٠هـ: ١٦٠.

(٣) الطراز لاسرار البلاغة وعلوم حقائق الاعجاز يحيى بن حمزة بن علي بن ابراهيم الحسيني العلوي الطالبي الملقب بالمؤيد بالله (ت٧٤٥هـ) ، المكتبة العصرية، بيروت، ط١، ١٤٢٣هـ: ١٩٥/٣.

(٤) تفسير (إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم) لأبي السعود العمادي، محمد بن مصطفى (ت٩٨٢هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت: ٢٧٧/٥.

الهمزة: حرف استفهام خرج الى معنى التعجيب

الآية خطاب موجه الى الرسول الكريم ﷺ فابتدأ الحق سبحانه وتعالى الآية باستفهام للتعجيب وهو يصور حال هذا الكافر وهو يكفر بآياتنا ويدعي بهتاناً وزورا ويفتري على الله انه في الاخرة سيؤتى مالاً وولداً والمعنى ((انظر الى حال هذا الكافر واعجب من مقالته الشنيعة وجرأته على الله اذ قال لأعطين في الاخرة مالاً وولداً ولما كان ما ادعاه لا يحصل له العلم إلا بأحد الامرين الاطلاع على الغيب او اتخاذ العهد ولم يحصل له واحد منهما فتكون دعوى لا برهان عليها) [١].وورد (الاستفهام في أفرأيت مستعمل في التعجيب من كفر هذا الكافر المقصود من الاستفهام لفت الذهن إلى معرفة هذه القصة أو إلى تذكرها ان كان عالماً بها)) [٢].

وجاء أسلوب الاستفهام بالهمزة ((للاستفهام التعجبي من حاله والايذان بأنها من الغرابة والشناعة بحيث يجب ان يرى ويقضى منها العجب داخلة على محذوف و(الفاء): عاطفة على ذلك المحذوف والتقدير: انظرت فرأيت الذي كفر بآياتنا التي من جملتها آيات البعث (وقال) مستهزأ بها مصدراً كلامه باليمين والله (لأوتين) أي لأعطين في الاخرة ان بعثت (مالاً وولداً) أي انظر اليه يا محمد فتعجب من حالته البديعة، وجراءته الشنيعة، والغرض من هذا الاستفهام التعجيب)) [٣].

فلم يكتفِ بالجحود، بل التطاول بكل جراءته على الله من خلال تقوله باعطاء المال والولد وانه صاحب جاه في الدنيا والاخرة فجاء الاسلوب القرآني متعجباً من شناعة وفضاعة تقولاتهم وتطاولهم وكانه اطلع على الغيب او اتخذ مع الله عهدا .

---

(١) تفسير المرغي احمد بن مصطفى المراغي : ٨٠/١٦.وينظر التفسير البلاغي ، للمظعني ، ج٢، ص٢٨٨.

(٢) تفسير التحرير والتنوير: ١٥٩/١٦.

(٣) تفسير حدائق الروح والريحان: ٢١٧/١٧.

الآية الحادية عشرة

قال تعالى:﴿ أَطَّلَعَ ٱلْغَيْبَ أَمِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا ﴾ مريم: ٧٨

الغرض من هذه الآية التي ذكرت فيها اداة الاستفهام الهمزة (أطلع الغيب)

الهمزة: اسم استفهام خرج الى معنى الانكار والتعجب.

يعرض القرآن الكريم حال هذا المتطاول بجهلة، والاية فيها اخبار عن قصة هذا الكافر الذي ﴿ وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا ﴾ مريم: ٧٧ والمعنى ((اخبرني بقصة هذا الكافر عقب حديث اولئك المغرورين بمالهم وجاههم انظرت فرأيت الذي كفر بآياتنا كلها او بعضها وقال والله لأوتين مالاً وولداً يوم القيامة عند البعث، انظر الى مقالته وتأليه على الله مع كفره وجحوده ثم يجيب الله ويرد عليه اطلع على الغيب حتى انه في الجنة ام اتخذ عند الرحمن عهداً بدخول الجنة وانه سيكون صاحب يسار فيها ولا سبيل الى العلم إلا بإحدى الوسيلتين اما الاطلاع على الغيب ، او اخذ العهد)) [١].

وكلمة (اطلع) تأتي هنا على سبيل التهكم من اقواله ((فهي تدل على المبالغة في حصول فعل الطلوع وهو الارتقاء (اطلع) افتعل من طلع للمبالغة في حصول فعل الطلوع وهو الارتقاء ولذلك يقال لمكان الطلوع مطلع بالتخفيف ومطلع بالتشديد ومن اجل هذا اطلق الاطلاع على الاشراف على الشيء، لأن الذي يروم الاشراف على مكان محجوب عنه يرتقي اليه من علو))[٢].

وجملة ((اطلع الغيب جواب لكلامه على طريقة الأسلوب الحكيم بحمل كلامه على ظاهر عبارته من الوعد بقضاء الدين من المال الذي سيجده حين يبعث، فالاستفهام في قوله اطلع الغيب انكاري وتعجيبي)) [٣].

---

(١) التفسير الواضح: ٤٦٩/٢.

(٢) تفسير التحرير والتنوير: ١٦٠/١٦.

(٣) تفسير التحرير والتنوير: ١٥٩/١٦.

الآية الثانية عشرة

قال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّآ أَرْسَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا ﴿٨٣﴾ ﴾ مريم: ٨٣

الغرض من هذه الآية التي ذكرت فيها اداة الاستفهام الهمزة (ألم تر)

الهمزة: حرف استفهام خرج الى معنى التقرير.

الخطاب للرسول الكريم ﷺ ألم تر يا محمد انا نرسل الشياطين على الكافرين تغريهم وتزعجهم وتغويهم بالكفر والعصيان والضلالة واتباع الشهوات فهي (تؤزهم أزاً) معنى ((الاز والهز والاستفزاز اخوات ومعناها التهييج وشدة الازعاج أي تغريهم على المعاصي وتهيِّجهم لها بالوساوس والتسويلات أي خلينا بينهم ولم نمنعهم ولو شاء لمنعهم قسراً والمراد تعجيب رسول الله بعد الآيات التي ذكر فيها العتاة والمردة من الكفار واقاويلهم وملاحتهم ومعاندتهم للرسل والتكبر والتطاول عليهم واستهزاؤهم بالدين)) [١].((هذه الآية_ مع قصرها _ مسوقة هي وما بعدها تسلية لصاحب الرسالة (صلى الله عليه وسلم) حتى لا يشقيه كفر الكافرين ولا سخرية الساخرين ، فهؤلاء قد سلط الله عليهم اخوانهم الشياطين)) [٢].

وفي هذه الآية التي بدأت باستفهام جواب ((السؤال يجيش في نفس الرسول من ايغال الكافرين في اضلال جماعتهم والحادهم وما جره اليهم من سوء المصير)) [٣].

وهذا الاستفهام مع النفي في قوله تعالى (ألم تر) ((تعجيبي ومثله شائع في كلام العرب يجعلون الاستفهام على نفي فعل والمراد حصول ضده بحث المخاطب على الاهتمام بتحصيله أي كيف لم تر ذلك ونزل ارسال الشياطين على الكافرين لاتضاح اثاره منزلة الشيء المرئي المشاهد فوقع التعجيب من مرآه بقوله ألم تر ذلك)) [٤].

---

(١) تفسير الكشاف: ٤٢/٣.

(٢) التفسير البلاغي للاستفهام في القران الحكيم، د. عبدالعظيم ابراهيم المظعني، ج٢، ص٢٩٣.

(٣) تفسير التحرير والتنوير: ١٦٥/١٦.

(٤) م.ن: ١٦٥/١٦.

الآية الثالثة عشرة

قال تعالى:﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هَلْ تُحِسُّ مِنْهُم مِّنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا ﴿٩٨﴾ ﴾ مريم: ٩٨

هذه الآية هي خاتمة سورة مريم وفيها الخطاب موجه من الله سبحانه وتعالى الى رسوله الكريم، وفيها موعظة بليغة وتحذير وتخويف، فقد اهلك الله سبحانه وتعالى الكثير من الامم السابقة قبل اولئك الذين كفروا بآيات الله وكذبوا رسله، فليس كفار مكة اشد من كل اولئك الذين من قبلهم وجاء السؤال بهل ((لذلك حين تسمع هذا السؤال (هل تحس منهم من احد او تسمع لهم ركزا) لا يسعك إلا ان تجيب : لا احس منهم من احد ولا اسمع لهم ركزاً)) [١].

فلم تقتصر الآية على التحذير بل وفيها وعد بالنصر وبشارة للمؤمنين ((فالجملة معطوفة على جملة فإنما يسرناه بلسانك باعتبار ما تضمنت من بشارة المؤمنين ونذارة المعاندين لأن في التعريض بالوعيد لهم نذارة وبشارة للمؤمنين باقتراب راحتهم من ضرهم)) [٢].

وورد الاستفهام بهل للنفي ((والنفي بطريق الاستفهام اقوى دلالة في معنى النفي لان النفي بالاستفهام فيه معنى ان المخاطب سبق إلى النفي فكان النفي من القائل، والاقرار به من المخاطب)) [٣]. حيث تعرض الآية اخبار الامم السابقة ممن كانوا اشد من كفار قريش فكان هذا حالهم فكيف الحال لمن كان اقل منهم واضعف مالاً وولدا، ففيها بشارة الى الرسول والمسلمين بان نصر الله قادم لا محالة، ودليل ذلك انظر الى السابقين من كفار الامم السابقة لكم اين هم وماذا حل بهم .

(١) تفسير الخواطر: ٩٢٠٦/١٥.
(٢) تفسير التحرير والتنوير: ١٧٧/١٦.
(٣) المعجزة الكبرى: ١٥٨.

الخاتمــة

وهكذا لكل بداية نهاية، وخير العمل ما حسن اخره وخير الكلام ما قل ودل وبعد هذا الجهد المتواضع أرجو ان اكون موفقاً في سردي للعناصر السابقة بطريقة لا ملل فيه ولا تقصير موضحاً الاثار الايجابية والسلبية لهذا الموضوع الشائق الممتع، وفقني الله واياكم لما فيه صالحنا جميعاً وقد كانت هذه الرحلة جاهدة للارتقاء بدرجات العقل ومعراج الافكار فما هذا إلا جهد ولا ندعي فيه الكمال، ولكن عذرنا ان بذلنا فيه قصارى جهدنا فان اصبنا فذلك مرادنا وان اخطأنا فلنا شرف المحاولة والتعلم.

ولا نزيد على ما قاله السلف:

اني رأيت انه لا يكتب انسان كتاباً في يومه إلا قال في غده لو غير هذا لكان احسن، ولو زيد هذا المكان لكان يستحسن، ولو قدم هذا لكان افضل ، ولو ترك هذا لكان اجمل، وهذا لعمري من اعظم العبر وهو دليل على استيلاء النقص على جملة البشر، وظهر لنا ممن خلال البحث ان الاستفهام ورد في سورة مريم في ثلاثة عشرة آية وكانت الهمزة اكثرها وروداً اما الاغراض البلاغية فقد خرجت الى معانٍ عدة، منها: الانكار سبع مرات، والتعجب ست مرات، والنفي ثلاث مرات، والتقرير مرتان، والتوبيخ مرة واحدة، والاستبعاد مرة واحدة، وقد استخرجتها حسب تسلسل الآيات في هذه السورة.

واخيراً بعد ان تقدمنا بالسير في هذا المجال الواسع املين ان ينال القبول ويلقى الاستحسان..

Method of questioning in Surat Maryam - a rhetorical study- Thaker Abdullatif Aboush

Abstract

This paper studies interrogation in the Sura of "Meriam" of the Glorious Qur'an by revealing the importance of interrogation as one of the stylistic techniques in Arabic language. This technique is used in different phases like: reminding, exclamation, negation, reporting, scolding and elimination. Each of these types has its own meaning according to the image or the subject matter it sets about to reveal. Therefore, for each of these phases a sample has been selected carefully by analyzing it semantically. Interrogation is one of the significant techniques used in the Qur'an with different meanings, rhythm, and great influence on the part of the listeners.